١٩ـ لا تكن منافقًا...

اعلم يا بني ويا بنيتي أن النفاق في أبسط تعريف له هو: أن يُظهر الإنسان خلاف ما يُبطن.

و"سئل الحسن ـ [١] ـ عن النفاق، فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج.

وقال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق ـ يعني النفاق. وحلف الحسن: ما مضى مؤمن، ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق. وفي رواية: إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن". [٢]

والنفاق داء خبيث، وسم قاتل، وخلق قبيح، لا نهاية لشره، ولا دافع لضرره، سوس ينخر في استقرار أي مجتمع يوجد فيه، يقوض أمنه، ويهدم بناءه، والمنافق في منأى عن العيون والمحاسبة.

وهو أداة شيطانية، لا تدع صالحًا إلا أفسدته، ولا حقًا إلا شوهته، ولا

---

(١) هو الحسن بن الحسن يكني بأبي سعيد البصري من كبار التابعين والعلماء العاملين ولد بالمدينة ٢١ه وتوفي ١١٠ه بالبصرة وكان كلامه يشبه كلام الأنبياء كما قال عنه الغزالي، وكان كثير الحزن والهم قال حمزة الأعمى: وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يومًا: إنك تكثر البكاء! فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكِ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكيًا فافعل، لعله تعالى أن يرحمك. ثم ناد الحسن: بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة حتى تعتق رقبته من النار. وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غدًا في النار ولا يبالي.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٣٥٩.

باطلًا إلا سعت في تقويته، ونصرة أتباعه.

وبقدر ما ينتشر في المجتمع يكون الفساد والهلاك، وتنتشر بسببه صفات الكذب والجبن، والخيانة، وقول الزور، ويكثر أعوان الباطل، ويقل أعوان الحق، ويتطاول السفيه على الحكيم، ويقوى المفسد على المصلح.

وهو على قسمين...

الأول : أن يبطن الإنسان الكفر ويُظهر الإسلام، وهذا منافق في عقيدته، كافر بالله تعالى.

يدخل الإسلام من باب، ويخرج منه من الباب الآخر، فهو مع المسلمين مسلم، يُقيم الشعائر، ويحافظ على تعاليمه، ويُظهر المودة لكل مسلم.

فإذا انقلب إلى أعدائه انقلب كافرًا حاقدًا، يتمنى زوال هذا الدين وأتباعه.

وهذا القسم أخطر القسمين، على الإسلام والمسلمين، إذ هو محسوب عليهما. مأمون جانبه، لا يُحْذَر منه، فيكون الضرر منه على الإسلام والمسلمين أشد من ظاهر الكفر، معروف السريرة.

وقد توعد الله تعالى هذا الصنف بأشد ألوان العذاب فقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [النساء : ١٣٨] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[النساء : ١٤٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

[التوبة : ٦٨] .

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة : ٧٣] . [التحريم : ٩] .

الثاني: منافق في عمله، وهذا القسم لا يُخرج صاحبه من الإسلام، ولا يجوز وصفه بالنفاق الخالص إلا إذا اجتمعت فيه صفات أربع حددها النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيْنَ قَالَ : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيه كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " . (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ". (٢)

فإذا توفرت فيه بعض هذه الخصال، لا يُسمى منافقًا، وعلى أية حال فهو نفاق في العمل لا يُخرجه عن دائرة الإسلام.

من أهم صفات المنافقين...

اعلم يا بني أن للمنافقين صفات وعلامات يُعرفون بها، منها...

١ـ أنهم يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم، قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾[البقرة : ٨] .

٢ـ أنهم مخادعون قال الله تعالى:﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[البقرة : ٩] .

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[النساء:١٤٢].

٣ـ أنهم مفسدون، قال الله تعالى:"﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا

(١)متفق عليه من حديث : عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .
(٢)متفق عليه .

يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[البقرة : ١٢] .

٤ـ أنهم يستهزئون بالمؤمنين ويسخرون منهم، قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[البقرة : ١٤، ١٥] .

٥ـ أنهم يتحصنون بالأيمان الكاذبة، قال الله تعالى:﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المنافقون : ١٢] .

٦ـ أنهم يوالون الكافرين، وينصرونهم على المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء : ١٣٨ـ١٤٠] .

وقال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

[الحشر : ١١، ١٢] .

٧ـ أنهم يعملون على تثبيط همة المؤمنين، قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا

ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب : ١٢ ـ ١٨] .

٨ـ أنهم لا يحبون أن يتحاكموا إلى الله تعالى ورسوله، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء : ٦٠ـ٦٣] .

٩ـ أنهم لا يفقهون، قال الله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٧] .

١٠ـ أنهم لا يعلمون، قال الله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

من مضار النفاق...

١ـ المنافق لا يقبل الله منه عملًا صالحًا.

٢ـ المنافق مريض القلب، يفرح إذا أصاب المسلمين ضُر، ويحزن إذا انتصروا، ويتربص بهم الدوائر.

٣ـ المنافقون بخلاء، ولكن ينفقون أموالهم رئاء الناس.

٤ـ المنافق ضال باعتقاده وعلمه وعمله.

٥ـ المنافقون والمراءون يتعذبون بأموالهم في الدنيا والآخرة.

٦ـ الشدائد والمحن سرعان ما تُظهر المنافق على حقيقته.

٧ـ المنافقون يلتمسون أدنى الأعذار للقعود عن الجهاد.

٨ ـ المنافقون في كل مكان وزمان إخوة للكافرين والمشركين والملحدين، يشدون أزر بعضهم.

٩ـ النفاق والرياء يوردان أصحابهما المهالك في الدنيا، وغضب الله وأليم عقابه في الآخرة.

١٠ـ وهو محبط للأعمال مهما كثرت". [١]

(١) نضرة النعيم ١١/ ٥٦٣٠.